

سورة الهمزة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3)

شرح الكلمات:

{يَحْسَبُ} يَظُنُّ

{أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} جَعَلَهُ خَالِدًا لَا يَمُوتُ

المعنى الإجمالي :

قوله {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} أي يظن أنه لا يموت لكثرة أمواله ومتى كان المال ينجي من الموت؟ إنه الغرور في الحياة، لو كان المال يخلد أحدا لأخلد قارون.

وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَالٍ يَضْمَنُ لَهُ الْخُلُودَ فِي الدُّنْيَا، وَيُعْطِيهِ الْأَمَانَ مِنَ الْمَوْتِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ أَعْمَالَ مَنْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بِأَقْوَانِ مُخْلَدُونَ أَبَدَ الدَّهْرِ. ويظن أنه ضَمِنَ لنفسه بهذا المال الذي جمعه، الخلود في الدنيا والإفلات من الحساب.

والمال مع ضرورته للحياة هو سلاح ذو حدين، فهو يعد نعمة عندما يكتسب بالعمل والجد وعندما يتخذ الإنسان وسيلة إلى الإنفاق في وجوه الخير والعمل الصالح والبر والإحسان، وقد يكون نقمة عندما يكتسب بطريق غير شرعي وعندما يستخدمه المرء كوسيلة وأداة للربا وفعل الموبقات وللجمع والإدخار والافتقار والبخل. إن فتنة المال من الفتن العظيمة التي وقع فيها المسلمون، وفتنة الجاه من الفتن الكبيرة التي أودت بكثير من أخلاق المسلمين،

هذه الفتنة التي عظم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شأنها، فقال: (إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي المال). ولذلك كان -صلى الله عليه وسلم- لا يخشى على أصحابه الفقر، (ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم)

والمال لذاته فينبغي أن يمدح ولا يذم؛ لأنه سبب للتوصل إلى مصالح الدنيا والدين، فهو قوام الآدمي في الدنيا: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا .

وأما مصالحه الدينية فتتضمن في ثلاثة أنواع :

أولها : أن ينفقه على نفسه في عبادة؛ كالخج والجهاد ، أو فيما يعين على العبادة؛ من المطعم والملبس والمسكن وغيرها من الضرورات .

ثانيها : ما يصرفه إلى الناس من صدقات للفقراء والمعوزين ، ومن مروءات كالضيافة ووقاية العرض ونحو ذلك .

ثالثها : ما يصرفه في المنافع العامة للمسلمين كبناء المساجد والقناطر والوقوف المؤبدة ونحو ذلك .

ومن أراد أن يكون كسبه طيبا فعليه أن يحفظ

خمسة أشياء :

أولها : أن لا يؤخر شيئا من فرائض الله تعالى لأجل الكسب ، ولا يدخل النقص فيها .

والثاني : أن لا يؤذي أحدا من خلق الله لأجل الكسب .

والثالث : أن يقصد بكسبه استعفافا لنفسه ولعاليه ، ولا يقصد به الجمع والكثرة .

والرابع : أن لا يجهد نفسه في الكسب جدا .

والخامس : أن لا يرى رزقه من الكسب ، بل يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا)

علاج الحرص والطمع في المال وطرق اكتساب القناعة

1- الاقتصاد في المعيشة

2- عدم التفكير في الغد

3- معرفة فضل القناعة

4- عدم النظر إلى ما عند الناس

5- النظر إلى من هو دونك في الدنيا.

آثار العفة والقناعة:

إذا ابتعد المسلم عن جمع المال بالطرق الغير شرعية ، واقتنع بالقليل مما رزقه الله تعالى ، فإن ذلك يؤدي للابتعاد عن الكسب الحرام الذي يمنع من استجابة الله تعالى لدعاء من يدعو، فمن أكل لقمة من الحرام لا يكافئ الله عمله أربعين يوما. كما أنه بالعفة نزيل الغش وكل أنواع الكسب الحرام ، ويؤدي كل فرد عمله وواجبه في إطار المحابات.

ضوابط لتجنب فتنة المال :

1- تقوى الله جلّ وعلا وملازمة تقواه في السر والعلن والغيب والشهادة.

2- لزوم الكتاب والسنة والاعتصام بهما ، فإن الاعتصام بالكتاب والسنة سبيل العز والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.

3- الرفق والأناة وعدم العجلة والتأمل في عواقب الأمور ، فإن العجلة لا تأتي بخير ، والأناة فيها الخير والبركة.

4- حسن الصلة بالله ودعاؤه سبحانه ، فإن الدعاء مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة، ولا سيما سؤال الله تبارك وتعالى أن يجنب المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن ، والتعوذ به سبحانه من مضلات الفتن ، فإن من استعاذ بالله أعاده ، ومن سأل الله أعطاه ، فإنه سبحانه لا يخيب عبداً دعاه ولا يرد عبداً ناداه ، وهو القائل سبحانه : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [البقرة:186] .

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (500)



قوله من تفسير السورة الحزينة الآية 3

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

8- جعل الله سبحانه المال سبباً لحفظ البدن، وحفظه سبب لحفظ النفس التي هي محل معرفة الله والإيمان به وتصديق رسوله ومحبتة والإنابة إليه، فهو سبب عمارة الدنيا والآخرة وإنما يذم منه ما استخرج من غير وجهه، وصرف في غير حقه، واستعبد صاحبه، ومملك قلبه، وشغله عن الله والدار الآخرة.

9- من كان المال له وسيلة إلى تحصيل الحلال، وكف الأكف عن الناس، ونفع الآخرين، والأنفاق في سبيل الله تعالى فهذا من أشرف المقاصد وأعظم القربات.

10- أن هذا المال فتنة ومحنة، فمن أخذه في حقه ووضعه في حقه كان موفقاً صالحاً، ومن أخذه من غير حقه ووضعه في غير حقه، أو أخذه من حقه ووضعه في غير حقه، كان بائراً خاسراً، إلا أن يتدارك نفسه بتوبة وإنابة إلى الله العزيز الحكيم.

11- كان السلف يخافون من نعمة المال أشد الخوف، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا فتح الله عز وجل عليه الفتوح -وقد كثرت الفتوح كثرة بالغة ملحوظة في عهد الفاروق الفاتح رضي الله عنه- قال: ما حبس الله تعالى هذا عن نبيه ولا صاحبه لشئ أراد بهما، وأعطاه عمر إرادة الخير له.

12- {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ}.. أي يخلده في الدنيا، ويدفع عنه الموت والفناء؛ وكأن الخلود يشتري بهذا المال. يحسب أنه بماله قد اشترى البلاد والعباد فلم يعد لأحد قدر عنده، ويحسب أن ماله سينجيهِ من كل الشرور والآفات وسيخلِّده في نعيمه البائس الزائف الزائل بينما إذا لم مرض خطير به، فإنه لو جاب مستشفيات العالم، وأعطاهم الملايين، فلا علاج له، "اتسع الخرق على الراقع"!! المرض استفحل، وانتهى الأمر!!

13- إن موازين الناس لا قيمة لها إذا لم تكن مبنية على أساس صحيح، فمجرد جمع المال لا يقرب من الله عز وجل قال تعالى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالِّي تَقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى}.

والله أعلم .. وصلى الله على نبيينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

- 1- التنديد بالمغتربين بالأموال المعجيين بها.
- 2- {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} أي يظن أن سعة ماله تخلده في الدنيا؛ فلا يموت. أو تخلده في الغنى والنعيم؛ فلا يساق إلى الجحيم.
- 3- إن من رحمة الله بهذه الأمة أنه أخبرها بما سوف تلقاه من الفتن ودلها على سبل الوقاية والحماية منها ، جاءنا الخبر في كتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وإن من الفتن التي أخبر عنها ووقعت فيها هذه الأمة هي فتنة المال.
- 4- المال إما أن يستخدم في الخير أو الشر، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: 15]، وهو من الفتن العظيمة التي يبتلى بها المؤمن، والقليل من الناس من يصبر عليها.
- 5- ذم الله ورسوله عبد المال الذي إذا أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: 58]
- 6- بعض الناس يغلط، ويظن أن من رزق مالا كثيراً، فإنه قد وفق، وهو دليل على محبة الله له! والأمر ليس كذلك، فإن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، وقد ذكر الله هذا عن الإنسان، وأخبر أن الأمر ليس كما ظن، قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرٌ ﴾ [التوبة: 58]، وأخبر أن الأمر ليس كما ظن، قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرٌ ﴾ [التوبة: 58]
- 7- من علامات حب الدنيا : بيع الآخرة بالاغتراف من المال دون مبالاة بمصدره : حلال أم حرام ، وقد تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الزمان ، ولعله زماننا الذي نعيش فيه فقال : « لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مِمَّا أَخَذَ الْمَالَ؟ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟ » .